(٢)
أثر الأفغانى فى التكوين الثورى للنديم

لما سمع النديم بجمال الدين الأفغانى حضر مجلسه فاستهوته أفكاره الجريئة، لذلك تردد على حلقته، وانخرط فى سلك تلامذته، ولما لاحظ الأفغانى نبوغ النديم، وقوة حجته فى المناظرة والجدل أخذ يدربه، وأعطاه من وقته واهتمامه الكثير لثقته فى أنه سيكون الخطيب المؤثر فى عواطف الجماهير.

لقد تلاءمت أفكار الأفغانى الدينية والسياسية مع تكوين النديم، كما أنها أوضحت له الرؤية السياسية والوطنية لذلك كان يهرع إلى مجلس أستاذه، كلما فرغ من عمله بالقصر العالى، واستمر على ذلك حتى فصل من عمله، فانتقل إلى ميادين الحياة الفسيحة باحثا عن وسيلة لكسب عيشه، فجاب القرى

والمدن وفى أثناء تواجده بمدينة المنصورة تعرف على الشيخ «أبو سعدة» عمدة بدواى فدعاه إلى الإقامة فى قريته كى يعلم أولاده القراءة والكتابة والدين، وقد استطاع النديم خلال تواجده بهذه القرية معرفة أحوال الفلاحين والظلم الواقع عليهم، ثم ما لبث أن اختلف مع مضيفه وتشاحنا فترك القرية واتصل بأحد محبى الأدب من أعيان التجار بالمنصورة الذى افتتح له حانوتا لبيع الخردوات، ولكن نفس النديم الثائرة لم تجد استعدادا للعمل بالتجارة فأهملها، وأخذ يرحل من بلد إلى آخر حتى تعرف على شاهين باشا كنج مفتش الوجه البحرى وقتذاك فقربه إليه، وفى صحبته تعرف النديم على أحد رجال الحاشية الخديوية، فعينه وكيلا لدائرته مما أتاح له فرصة التردد على القاهرة ليقابل موكله هناك، وخلال ذلك زار مجالس أستاذه فوجد أن لهجته فى الحديث قد تغيرت، فبعد أن كان يتحدث عن الإصلاح الدينى واتخاذه طريقا للإصلاح السياسى والاجتماعى أصبح يتحدث عن ضرورة التخلص من الظلم الاجتماعى والحكم الفردى والتدخل الأجنبى والاستبداد الواقع على أعناق المصريين، كما وجد النديم أن أحاديث أستاذه لم تعد تقتصر على الخاصة بل اقترب من العامة الذين ارتادوا مجالسه يتفهمون منه سوء أحوال أمتهم، والظلم الواقع على كواهلهم وضرورة التخلص منه.

وكان الأفغانى يخاطب المصريين فى لهجة فيها الكثير من المرارة التى تنطلق من محبته لمصر وحرصه على شعبها فهاجت خواطرهم وشغفت قلوبهم بالحرية وبدأت تنتشر روح التململ من الحكومة، فساعد ذلك على أن يكثر حديث الناس عن الأزمة المالية وصندوق الدين والتدخل الأوربى، والظلم والعدل، والاستقلال والحرية والجهل والعوز مظهرين الخوف على البلاد.

لقد رأى الأفغانى أن الحرية والاستقلال لا يوهبان عن طيب خاطر بل إن الأمم تحصل عليهما قوة واقتدارا، وقد مست هذه الكلمات كما مس غيرها قلب النديم ووجد فى نفسه كما وجد زملاؤه فى أنفسهم بعد تتلمذهم على أستاذهم أن الواحد منهم جدير بإصلاح مديرية أو مملكة، وأنهم رغم قلة عددهم إذا وزعوا على مديريات القطر ومحافظاته فسوف يصلحونها فى أقرب وقت، ومن هنا بدأت حياة النديم السياسية.